تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوى

الى معالى وزير المعارف فى العراق :

سيدى الأستاذ

سألت عنك ، فقيل لى إنك أحد هؤلاء الممتازين خلقا وثقافة . وحين علمت هذه الحقيقة ، قدقررت على الفورأنك تقرأ « الرسالة » ، وتألف صرير القلم ، وتستجيب لدعوة الحق ، ولهذا كتبت إليك .. فليس أحب إلى من أن أتحدث إلى رجل ممتاز أو أخلو إلى كتاب ممتاز ، لأن كليهما لن يضيق بصحبة الأديب ولن يتنكر لرسالة الوفاء !

وأحمد الله على أنك فى المكان الذى أحب لأمثالك من الممتازين أن يكونوا فيه ، وأشكر للعراق فطنته فى اختيار الذين يحملون ألوية العلم ويشرفون على تربية الجيل ، وينثرون فى أرض المعرفة بذور نهضة فكرية يشتد منها العود وينضج الثمر . من حقك على إذن ، ومن حقك على « الرسالة » ، ومن حقك على كل صاحب قلم يربطه بك سبب من أسباب الفكر أو صلة من صلات اللغة أو آصرة من أواصر الجوار ، أن نبعث إليك بأخلص التحية وأصدق التقدير ، مع الأمل المصحوب بحرارة الرجاء .. ومن حق عليك ، وحق « الرسالة » ، وحق هؤلاء الذين أتحدث إليك باسمهم هنا وهناك ، ألا تخذل ثقتنا بك ورجاءنا فيك ، لأن القضية التى نعرضها عليك هى قضية الشعر المظلوم والحق المهضوم والفن الشهيد ، فوق ثرى هذه الأرض الطيبة التى أنبتتك .. أرض العراق الحبيب !

قضية اليوم التى نتقدم بها إلى ساحتك ، هى قضية الشاعر العراقى المطبوع الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى .. ترى هل استمعت إلى صرخته التى أطلقها منذ قريب على صفحات « الرسالة » ؟ إننا نرجو أن تكون هذه الصرخة قد حطمت السدود والقيود ، وعبرت الآماد والأبعاد ، لتصل إلى سمعك وتنفذ إلى قلبك .. وندعو الله أن يكون سمعك قد التقط صرخة الشعر وأن يكون قلبك قد اهتز لفرة الشاعر ، كما التقطتها الأسماع هنا واهتزت لها القلوب !

مصدر هذه الصرخة يا سيدى هو أن العراق — ممثلا فى شخص وزير المعارف الأسبق السيد نجيب الراوى — قد عطف يوما على عبد القادر فأرسله إلى جامعة باريس ليطلب فيها العلم .. وقبل أن أمضى فى طريقى لأعرض عليك أدوار هذه القضية ، أود أن أقف لحظة لأخفض قلمى تحية للسيد نجيب الراوى ، هذا الرجل الفاضل الذى يسعدنا نحن المصريين ويثلج منا الصدور أن يكون اليوم بيننا ممثلا لبلاده . أخفض قلمى تحية له لأنه عطف على عبد القادر حين لمس فى شعره الموهبة وطالعته منه دلائل النبوغ ، فأشفق على الفن أن يختنق فى الظلام فأخرجه إلى رحاب النور ، وبعث به إلى باريس ليتعلم على نفقته الخاصة .. لم يضن السيد نجيب الراوى على الشاعر بماله ، بل جعل من هذا المال حقاً كريماً لأصحاب المواهب والملكات . وأوشك أن يزيد من فضله حين عزم على أن يشرك الدولة فى تقديره لرسالة الفن ، وذلك بأن تقدم وزارة المعارف لهذا الشاعر منحة سنوية تعينه على استكمال دراسته فى أروقة السوربون . ولكن الأقدار تتدخل فتحول بين الوزير وبين أن يحقق للشاعر ما كان يتطلع إليه من الأمل المرتقب فى ظلال الوعود .

استقالت الوزارة التى كان فيها السيد نجيب الراوى وزيراً للمعارف ، قبل أن يتم التصديق على الميزانية التى أدرج فيها الوزير تلك المنحة السنوية للشاعر ، وأعقبتها فى الحكم وزارة السيد توفيق السويدى التى أحلت محل السيد الراوى وزيراً آخر هو السيد سعد عمر . ومن باريس كتب الشاعر إلى الوزير الجديد يشكو إليه حاله ، حال المكافح الباسل فى طلب العلم حين تقسو عليه الحياة وهو غريب الأهل والدار ، حال المواطن الصادق حين يفزع إلى وطنه مطالبا ببعض ماله على هذا الوطن من حقوق ! ولكن العراق ممثلا فى شخص الأستاذ سعد عمر لم يستمع لصرخة الفن الشهيد يطلقها عبد القادر ، فأغلق دونها منافذ القلب والسمع والشعور .. واستمر عبد القادر يكافح ، يكافح وحيدا ، لا يد بالعون تمتد إليه ، ولا صديق بالذكر يعطف عليه ، ولا نسمة رخية من أنسام الوطن البعيد ترطب من حوله جفاف

٣٥ ، ٣٦

الحياة . وحين فقد آخر منحة من فيض السيد نجيب الراوى ، وآخر أمل فى إنسانية السيد سعد عمر ، وآخر مورد من موارد الرزق الشريف ، وآخر قطرة من سيل العرق والدموع ، ظل راجماً إلى العراق . . ظل راجماً ليبكى « شبابه الدامى » على صفحات الرسالة ! !

واليوم ، تنطلق هذه الصرخة المدوية ومعالى الأستاذ خليل كنه وزير المعارف فى العراق . ماذا أقول لهذا الرجل الممتاز وأبصارنا شاخصة إليه وأفكارنا متعلقة به ؟ أقول له تلك الكلمات التى قلتها فى هذا المكان منذ أيام ، وهى أن عبد القادر وتر من الأوتار الصادحة بأنغام الحق والخير والجمال ، فلماذا يريد العراق لهذا الوتر أن تخمد أنغامه وهو يغنى له ويتغنى به ؟ أهو يضيق بصوت الحق فلا يسمع ، وبمعنى الخير فلا ينظر ، وبسر الجمال فلا يطرب ، وبصرخة الفن الشهيد فلا يستجيب ؟ ! إنها مأساة .. مأساة أن أرى العراق يحول بين أحد شعرائه وبين نور العلم ، وهو بهذا النور سيضيء لوطنه أقباس الأمل ومشاعل الرجاء !

إننا نعيذ العراق من مثل هذا الاتهام فى عهد هذا الرجل المثقف الممتاز .. خليل كنه ! إن عبد القادر يا سيدى لا يطلب منكم منصبا من المناصب ، ولا لقباً من الألقاب ، ولكنه يطلب منكم أن يغترف من مناهل العلم ، وهذا — كما قلت أيضاً بالأمس — هو أقل ما يجود به وطن على فنان !

ترى هل أنتظر لهذا الشاعر خيراً على يديك ؟ إننى أريد أن أسجل لك هذه المنة على صفحات « الرسالة » ، وأذهب إلى أبعد من هذا حين أريد أن يسجلها لك تاريخ الأدب .. صدقنى إن تاريخ السياسة ليغفل أحيانا عن تسجيل بعض المآثر لبعض الممتازين ، ولكن تاريخ الأدب من الوفاء بحيث لا يغفل عن أمثال هذه المآثر حين يعرض لها بالذكر الجميل . وهذا هو موقف التاريخين من وزير المعارف المصرى محمد محب ، حين غفل عن مآثرته التاريخ الأول وذكرها التاريخ الأخير .. محمد محب الذى أكرم الفن فى شخص حافظ ابراهيم ، حين انتشله من مهاوى البؤس فكرمه تاريخ الأدب وعطر بعداد التقدير خلقه وذكراه !

إن تاريخ الأدب العربى الحديث لا يذكر حافظا إلا وذكر فى مجال الحديث عنه محمد محب .. لأن هذا الرجل الكريم كان نفحة صادقة من نفحات الكرامة العقلية فى مصر ؛ الكرامة الوفية للخلق والمخلصة للقيم ، حين تنشد فى ضوء المثل العليا أقدار الرجال ! وأى وفاء للخلق وأى اخلاص للقيم أصدق من أن يمد هذا الوزير المصرى يد العطف والرحمة إلى حافظ ابراهيم لينقله من حياته المشردة فى الشوارع والقهوات ، إلى حيث يوفر له من رغد العيش واستقرار النفس وراحة الجسم ما يليق بمكانة شاعر .. هناك حيث قدر لحافظ ابراهيم أن يكون مديراً لدار الكتب المصرية ؟ !

إننا نقدم هذه القصة المثالية لمعالى وزير المعارف فى العراق .. نقدمها والأمل يملأ نفوسنا بأن التاريخ يمكن أن يعيد نفسه ؛ تاريخ الأدب العربى بعد أن تنصف وزارة المعارف العراقية هذا الشاعر ، ويجىء اليوم الذى تخصص فيه بعض صفحاته للحديث عن مثلين نادرين من أمثلة الكرامة العقلية : هما محمد محب هنا وخليل كنه هناك !!

إن تاريخ السياسة كما سبق أن قلت ، قد يسهو عن أن يثبت هذه المأثرة لمعالى الأستاذ خليل كنه ، لأنه تاريخ لا يسلم من أن تعبث بسطوره يد الأهواء والأغراض .. أما تاريخ الأدب يا معالى الأستاذ ، فهو أشرف قصداً وأنبل غاية ، وأكثر بقاء على الزمن وصمودا على الأيام !

لحظات مع الرسام « الفرنسى » بيكاسو :

طالعت فى العدد (٩٠٢) من الرسالة ، ما كتبتموه رداً على الأستاذ مختار العطار الذى يقول عن الرسام السريالى « بيكاسو » إنه أسبانى ، وتخالفونه بقولكم إنه أسبانى المولد ولكنه فرنسى النشأة ، وتجنس بالجنسية الفرنسية منذ أمد بعيد ، وأن أسبانيا اليوم لا تعتبره واحداً من أبنائها ولا من فنانيها .

ومع إعجابى بكم واحترامى لكم ، أقول إنه لم يجترئ على الحق فى رده عليكم ، ذلك لأن « بيكاسو » قد ولد عام ١٨٨١ وتعلم الرسم عن والده ودرس فى مدرستى مدريد وبرشلونة للفنون الجميلة . وفى عام ١٩٠٠ سافر إلى فرنسا ، أى أنه أمضى تسعة عشر عاما فى أسبانيا وأقام بفرنسا نهائيا وتجنس بالجنسية الفرنسية كما تقولون .

أما قولكم بأن أسبانيا لا تعتبره اليوم واحدا من أبنائها ولا من فنانيها فهو قول يخالف الواقع ، لأنه لو كان كذلك لما عرضت الحكومة الأسبانية بعض لوحاته فى معرض الفن الأسبانى هذا العام مع زمرة الفنانين الأسبان . إننا حين نقول إن « بيكاسو » أسبانى نكون أقرب إلى الصواب مما اذا قلنا انه فرنسى . وختاما لكم احترامى وتحياتى .

مصطفى أحمد

طالب بالفنون الجميلة العليا قسم التصوير

أشكر للاديب الفاضل أدبه فى الخطاب واهتمامه بالتعقيب ، وأقول له : إن هذه المعلومات التى حملتها إلى رسالته عن الرسام السريالى « بيكاسو » معلومات لا غبار عليها من الناحية التاريخية ، ولكنها فى حاجة إلى أن تزيل عنها الغبار من الناحية الفنية ! لقد قلت عن « بيكاسو » إنه أسبانى المولد ولكنه فرنسى النشأة ، ومع أننى أعلم أنه أمضى فى أسبانيا تسعة عشر عاما من سنى حياته التى أشرفت على التسعين ، مع هذا فقد قلت عنه ما قلت . لأن نشأة الفنان لا تقاس بهذه الفترة الصغيرة التى لا تنضج فنا ولا تعلى قدرا ولا تسلك إسما من الأسماء فى عداد المشهورين ! فاذا قلنا إن « بيكاسو » فرنسى النشأة ، فإنما نعنى النشأة « الفنية » الصحيحة التى تهيىء للفنان أن يكون فنانا ، له إسمه وشهرته ومكانته ... ومعنى هذا ، أن تلك الأعوام التسعة عشر التى قضاها « بيكاسو » فى أسبانيا ، تعد بالنسبة إلى الحياة الفنية الحقة « مولد فنان » ؛ ولكن تلك الأعوام الخمسين التى قضاها فى فرنسا هى التى تعد بالنسبة إلى تلك الحياة « نشأة فنان » .. ترى هل فهمنى الأديب الفاضل وأنا أحدد الفوارق الفنية بين « المولد » و« النشأة » فى حياة الفنانين ؟ !

أريد أن أقول له إن شهرة « بيكاسو » الواسعة ، وإسمه اللامع ، ومذهبه الكلاسيكى القديم ومذهبه السريالى الجديد ، كل هذه القيم الفنية لم يقدر لها أن تكون حقيقة ملموسة إلا فى ظل هذه النشأة الفرنسية التى امتدت خمسين عاما .. أما قبل ذلك ، فقد كان صبيا صغيرا يتلقى الأصول الأولى لفن الرسم فى المدارس الأسبانية ، وهى أصول لم تستطع أن تخلق الفنان الذى طبقت شهرته الآفاق . إن التسعة عشر عاما لم تصنع « بيكاسو » الذى يعرفه الناس ، ولكن الخمسين عاما هى التى صنعت المعجزات .. هو إذن أسبانى المولد ولكنه فرنسى النشأة ، ولا أحب للأديب الفاضل ، طالب الفنون الجميلة ، أن يجادل فى هذه الحقائق الفنية !

أما عن معرض الفن الأسبانى الذى أقيم فى القاهرة فقد زرته وشاهدت ما فيه من لوحات .. وأود أن أقول للأديب الفاضل إن بعض لوحات « بيكاسو » قد أقحمت إقحاما فى هذا المعرض ، بقصد الترويج للفن الأسبانى على حساب هذا الفنان الفرنسى .. لأن رجلا مثل « بيكاسو » قد تجنس بالجنسية الفرنسية منذ خمسين عاما ، وسجل إسمه ضمن مجموعة الرسامين الفرنسيين فى متحف « اللوفر » بباريس ، ولا يتحدث عنه « سارتر » و « جان كوكتو » إلا ويقولان عنه : « الفنان الفرنسى » ، مثل هذا الرجل « تتمسح » فيه الحكومة الأسبانية حين تقحم بعض لوحاته فى معرض الفن الأسبانى بقصد الترويج لهذا المعرض بلا جدال !

وأزيد على ذلك فأقول : إن الحكومة الأسبانية قد أقدمت على أن تفعل ذلك فى مصر ، ولا أعتقد أنها تستطيع أن تقدم على مثل هذا العمل فى بلد مثل إيطاليا أو فرنسا أو انجلترا أو غيرها من البلاد الأوربية ... ذلك لأن لوحات « بيكاسو » المحفوظة ـ ولا أقول المعروضة ـ فى متحف « اللوفر » مسجلة كما سبق أن قلت ضمن مجموعة الفنانين الفرنسيين ، لأن صاحبها فرنسى باعترافه واعتراف الحكومة الفرنسية واعتراف الدوائر الفنية فى العالم . وقد يسألنى أحد القراء لماذا تحفظ لوحات « بيكاسو » فى متحف اللوفر بباريس دون أن تعرض ، فأقول له : إن عرض اللوحات فى هذا المتحف العالمي غير جائز للفنانين الأحياء ، فاذا ما انتقلوا إلى العالم الآخر فقد أصبح من حقهم أن ينتقل إنتاجهم الفني من « الحفظ » إلى « العرض » ، أعنى من مكانه فى « المخازن » إلى أمكنته من الجدران .

شعراء فى الميزان :

أنا من المؤمنين بأن النفس الإنسانية هى الحوض ، بل المحيط الذى يجب أن تغترف منه أقلام الشعراء ؛ وأن الوجدان هو الأفق الذى يجب أن يضرب فيه جناح الشعر .. ولا أدين بغير هذا الفن الذى يؤدى عن النفس ولست أومن بغير هؤلاء الفنانين الذين يقبسون من الوجدان . ولا أكاد أدرى أى شىء هذا الذى يجعلنى أعتقد أنى جئت إلى هذه الدنيا ، وفى هذا الإيمان ؛ وأنى

سأنصرف عنها ولا إعان لى ـ فى الأدب خاصة والفن عامة ـ غيره !

قد لا يعنيكم شىء من ذلك كله ، ولولا أنها الرسالة الأولى ، أو الشذرة الأولى ، أكتبها إليكم ، لسمى القلم إلى ما يريد دون توطئة له بهذه الكلمات ... غير أنى قد قرأت تعقيبكم المعجب على رسالة الآنسة هجران الأخيرة ، فوقفت فيه عند رأى من آرائكم تبدونه فى بعض الشعر ، وحكم من أحكامكم تطلقونه على بعض الشعراء .

بدا لى أنكم بهذه الكلمة تميزون فى شعر « الأداء النفسى » بين لونين من الشعر : لون يرتفع فيه اللفظ بالخيال فيعجب ؛ ولون يرتفع فيه الخيال باللفظ فيهز .. شعر قوامه العبارة الوحية ، وشعر قوامه الوحى المعبر .. وأشهد لقد حالفكم فى هذا التمييز التوفيق كل التوفيق !

على أنى ألفيتكم تضمون قصيدة « الشاعر » للحداد ، وقصيدة « راقصة الحانة » للشاعر الخالد على محمود طه ، وقصيدة « الطلاسم » لأبى ماضى ، فى مستوى واحد ، وتنسبون القصائد الثلاث إلى هذا الشعر الذى يتمثل وحيا معبرا ، قوامه الحركة النفسية ، والدفقة الوجدانية ، والوثبة الخيالية ، . هذا الشعر الذى ما إن تقبل عليه حتى تشعر أنه ينقلك إلى جو كله رفيف ، وكله أمل ، وكله سلام .. جو من الأحلام ، واللذائذ ، والأناشيد الرقصة .. وأشهد مرة ثانية لقد أصبتم محجة الصواب فى هذه المقابلة !

ثم ... رأيتكم تجمعون فى الطرف الآخر بين عزيز أباظة وأنور العطار ، فى صعيد واحد ! وهنا أسمح لنفسى أن أختلف وإياكم بعد اتفاق ، أختلف وإياكم فى أمر العطار ، بعد اتفاق تام معكم فى كل ما رأيتموه فى شاعريته ، اليوم عند تمييزكم لشعره عن شعر الفئة الأولى ، وأمس عند تمييزكم لقصيدة الحداد على قصيدة العطار .. وهنا أبادر بالقول إن شعر العطار ليس ـ على ما أرى فى طبيعة شعر عزيز أباظة ، ولا يمكن أن يبلغ مستواه !

أقول ذلك ، وأنا قد قرأت الكثير من شعر أباظة : فهزنى ، وأطربنى ، وأثارنى ، وأشجانى ، وحلق بى فى جواء من الجمال والجلال والتسامى .. وأنوله ، وأنا قد قرأت الكثير أيضا من شعر العطار الذى نشره ، بل وقد سمعت العطار نفسه يلقى بعضه ، فى بعض المجامع والمناسبات . فلم أشعر بتلك الهزة ، ولم أجد فى نفسى أثر تلك اللذة ، ولم يحفزنى شىء فيه إلى التهويم مع الشاعر فى واد ، أو التدويم على جناحه فى أفق !

شعر العطار ـ الذى عرفناه له على الأقل ، شعر صناعة وألفاظ .. شعر عبارات مات فيها الجرس ، وصور انقطعات فيها الألوان وخمد البريق ، ومعان أكرهت على السكون بعضها إلى بعض ، فلم تكد تأتلف ، ولم يكد يأنس شىء منها بشىء .. وهل نحن بعيد وعهد بقصيدتيه « يردى » و « عبقرية الفن » اللتين نشرتهما له « الرسالة » منذ قريب ؟ إنهما قصيدتان نموذجيتان من شعره ، تدلان أصدق دلالة وأوضحها على شاعرية الشاعر .. فهل يخرج منهما القارىء بشىء ؟ اللهم إلا بهذه الطائفة الفنية « حقا » من مختارات الألفاظ .. كأنما الشعر الجميل ديوان المفردات الجميلة ، أو قاموسها !! وبعد ، فشعر العطار كما أراه ، عمل ذهنى ، وجهد لغوى ، لا يمت إلى شعر « الأداء النفسى » بصلة .. ولا كذلك شعر أباظة .

ووقفة أخرى وقفتها عند إشارتكم إلى قصيدة « الشاعر » للحداد ، وتعقيبكم على هذه الإشارة بقولكم : « وقد تكون فلتة من الفلتات التى يصعب أن تتكرر من حين إلى حين » .. نعم ، قد تكون هذه القصيدة المحلقة للحداد فلتة من الفلتات .. نعم ولا بد للناقد الحصيف من مثل هذا التحفظ فى إطلاق الحكم على شاعرية شاعر لم تعرف له غير قصيدة واحدة .. ولكن هل ألمح من وراء هذا الكلام شيئا من تراجع عن ذلك الحكم الألمعى الذى حكمتم به من قبل للقصيدة .. أو شيئا من فتور فى ذلك الحماس الكريم الذى اقترن به حديثكم السابق عن الشاعر .. أم هذا الذى يخيل إلى أشتات أوهام ! أرجو أن تصدق الأخيرة !

وتقبل أيها الأستاذ الناقد أصدق آيات الثناء على جميل أدبك من المعجب :

« دمشق ـ سورية » محمد الأرناؤوط

أشكر الأستاذ الفاضل ثناءه العاطر ، وأعتذر إليه من أن تضيق صفحات هذا العدد من « الرسالة » عن التعقيب ، لأنه طرق من زوايا الفن الشعرى ما يحتاج إلى شىء من التحليل والتحديد .. إن موعدى معه فى الأسبوع القادم إن شاء الله ، وأرجو أن يتسع النطاق لبعض الرسائل الأخرى فى حقيبة البريد .

أنور المعداوى